الشُّذوذ الجِنْسي والإفْساد في الأرض

رُؤيةٌ قرآنيّة

◆ **الشيخ الدكتور محمد نمر**[1]

■ **خلاصة**

تُعتبر ظاهرة الشُّذوذ الجنسي من الظواهر القديمة، حيث انتشرت في بعض المجتمعات المُنحرفة، واليوم، هناك مُحاولة للتّرويج لها وتشكيل مفاهيمها لتلْقى مقبولية لدى المجتمعات، بل التّشجيع عليها باعتبارها أمرًا طبيعيًّا..

الهدف من هذه المقالة، هو بيان مفاسد هذه الظاهرة الشّنيعة ومخاطرها، من خلال استعراض آيات القرآن الكريم المرتبطة بالموضوع، وخاصّة في قصّة نبي الله لوط عليه السلام مع قومه، والكشف عن علاقة الشُّذوذ الجنسي بالفساد في الأرض، وكونه مفتاحًا لكثير من المفاسد الأخلاقية والاجتماعية والقيمية التي حذّر منها القرآن الكريم..

الكلمات المفتاحية: الشُّذوذ الجنسي- قوم لوط- الإفساد في الأرض- اللواط- السّحاق.

1 - متخصص في الدراسات التربوية - أستاذ في جامعة المعارف وجامعة المصطفى العالمية - لبنان.

مقدمة

لقد حذّر الإسلام من خُطورة الفساد والإفساد في الأرض، والتَّمادي في هذا الفساد على حساب الحياة الإنسانية والمجتمع والأرض، كما حثَّ على طلب الفضيلة والخير والصّلاح، بما يحقّق الإصلاح والتّوازن المطلوب لإعْمار الأرض، وتحقيق الهدف من خلق الإنسان كخليفة لله في الأرض.

وقد تحدّث القرآن الكريم كثيراً عن الفساد والإفساد، ففي حوار الله تعالى مع ملائكته، يتبيَّن خشية الملائكة من الإفساد في الأرض، عندما أخبرهم عزّ وجلّ بأنّه جاعل فيها خليفة من البشر، يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:30]. وفي ذلك، استفهام الملائكة عن جنس الإنسان وطبيعته العدوانيّة التي قد تنحرف به عن خطّ الفطرة والعبوديّة، حيث يُمارس الفساد والإفساد، بعيدًا عن تجلّيات الرّوح والعقل في ممارسة فعل الاستخلاف القائم على العدل والحقّ والصّلاح والإصلاح.

هذا النّوع الإنسانيّ الّذي يعيش الصِّراع بين العقل والغريزة في شخصيَّته، ويختزن عناصر النزاع والخلاف، والرّغبة في التّدمير، والأنانيّة في التملّك والتسلّط في ذاته، ما يؤدِّي إلى الإفساد المادّي والمعنويّ، وإلى سفك الدّماء، أراد منه الله تعالى أن يسير في خطّ الصّلاح والإصلاح، كتأكيد على انفتاح الانسان الحيّ والفاعل مع خطّ الفطرة والتّوحيد والإخلاص.

فالإفساد هو عُدوان صارخ على الحياة، بكلّ ما تزخر به من تنوّع وطاقات ومجالات، يقول تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾[الأعراف:56]، وأراد للنّاس من خلال الوحي وإرْسال الرُّسل أنْ يُتابعوا خطوات الصّلاح، وألاّ يستسلموا لكلّ عوامل الفساد والإفساد، لأنّ ذلك يمثّل عدوانًا على الحياة، وانحرافًا عن الخطّ الذي رسمه الله تعالى للإنسان.

لذلك نهى القرآن في أكثر من آية عن طاعة المفسدين، يقول تعالى: ﴿**وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾[الشّعراء: 151-152]. والّذين أسرفوا على أنفسهم بالكفر والشّرك والانحراف عن طاعة الله من خلال أفكارهم الكافرة وعباداتهم المُشركة وتقاليدهم المنحرفة، وعلاقاتهم الفاسدة وأفعالهم الشرّيرة، ما يُؤدِّي إلى اختلال النّظام العام في الوجود الإنساني في الأرض، وإلى إفساد الحياة من حولهم مما يرفضه الله من كلّ عباده، إذ حمَّلهم مسؤوليّة الإصلاح في أنفسهم وفي النّاس، على مستوى الدّعوة والعمل، لينسجم النّظام الإنساني مع النّظام الكونيّ في عمليّة تكامل وتوافق وامتداد.

ومن مصاديق الفساد موضوع الشُّذوذ الجنسي، حيث يُعتبر فسادًا بحدِّ ذاته، ومفتاحًا لكثير من المفاسد الأخلاقية والاجتماعية، وطريقًا للإفساد في الأرض، حيث يسعى المُدافعون عن الشُّذوذ الجنسي والمروجون له، لتثبيته باعتباره أمرًا طبيعيًّا، وليس أمرًا شاذًّا، أو سلوكًا مُنحرفًا، فالتعاليم الدينية – بِنَظرهم- هي التي حرّمته وجعلته أمرًا منبوذًا في المجتمع، وإلاّ فيُمكن تربية المجتمع على تقبله وجعله من ضمن منظومة الحرية الفردية[1].

إنّ هذه المنظومة الفكرية – الشيطانية، تُحاول اليوم الانقلاب على كل ما هو ديني، وتُريد أن تُبدِّد جهود الأنبياء(ع) وتضحياتهم، لإرساء مفاهيم الصّلاح والأخلاق في المجتمعات، في محاولة للقضاء على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها وطمسها.

ومازال هذا الاتِّجاه العَلماني المُتطرّف، يُصرّ على إخراج المسألة من دائرة الشذوذ والانحراف، ويعتبر أنّ المَيل الجنسي المِثْلي، هو ميل طبيعي واعتيادي، ولا يُفترض التّعامل معه باعتباره مرضًا أو مشكلة، بل لا بدّ من الاعتراف به وإظهاره وعدم كَبْته.

ومن الواضح أنّ هذا الموقف ينطلق من خلفيّة ثقافيّة فلسفية مادّية، لها علاقة بما يتّصل بالإنسان وحريته في التعبير عن ذاته، وحقّه في إشباع غرائزه كما يحلو له، وهي رؤيّة سادت مُؤخرًا في المُجتمعات الغربية، وتمّ تحشيد الكثير من مراكز النفوذ السياسية والإعلامية للدفاع عنها والانتصار لها والترويج لها. بل هناك سعي حثيث لِفَرضِها على المُجتمعات، عبر برامج الأمم المتحدة وجمعيات المجتمع المدني[2].

1 - عتريسي، الجندر المُخادع، ص 25.
2 - الجندر المُخادع، ص25.

ولكنّ الإسلام يختلف اختلافًا جوهريًّا مع هذه الرؤية الراميّة إلى تسويغ ما هو واقع ورائج وشائع في المُجتمعات، ولا يُوافق على أنّ أي ظاهرة سلوكية إذا أراد الناس ممارستها أو قبولها، فهذا يعني أنّها أصبحت سليمة وغير شاذّة، ويمُكن الاعتراف بها، فميزان الحق والباطل في مثل هذه الأمور لا يتحدّد في ضوء ما هو كائن ووَاقع، أو مقبول اجتماعيًّا، ولا اعْتراض عليه، بل في ضوء ما ينبغي أن يكون، وما لا بدّ أن يقع، وذلك بحسب ما يحكم به الشرع الحنيف، ويُؤيّده العقل السليم، وتشهد له الفطرة السليمة، والوجدان غير المُلوَّث. فما أكثر الأمور الواقعة والمنتشرة بين الناس، وهي من أوضح مصاديق الباطل، وأجْلى أفراد الرّذيلة والانحراف.

وفي قصة نبي الله لوط عليه السلام، رأينا كيف أنّ قومه اتّهموه ومن آمن معه بالتطهُّر، عندما رفض واسْتنكر ما كانوا يفعلونه من شُذوذ جنسي وانحراف، وهمُّوا بإخراجه من قريتهم التي ساد فيها الشُّذوذ، حتى أصبح أمرًا اعتياديًّا ومقبولا من طرف الأغلبية، وبذلك رأوه ومن آمن معه مُختلفين عنهم ومنحرفين عمّا كانوا يفعلون، ﴿**أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾[الأعراف: 82]، بل لقد أصبح هو ومن اتّبعه في حالة الشُّذوذ والغُربة داخل ذلك المجتمع الشاذّ والمُنحرف جنسيًّا بالفعل. كما سيخافُ فرعون وهو الطاغي والفاسد والظالم من موسى عليه السلام أن يُفسد في الأرض: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾[غافر:26].

واليوم، فإنّ تفشِّي حالة الشُّذوذ الجنسي، ومُحاولة جعلها مقبولة في المجتمعات الإسلامية، سببه محاولة قلب المفاهيم وتغيير القِيم، والعمل على التّهوين من خُطورة الشُّذوذ الجنسي، وعواقبه الوخيمة على المجتمع. فالجمعيات العالمية والمحلية المنظمة، والتي معظم أعضائها من الأفراد الشاذين جنسيًّا، قد أخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن حقوق الشّواذ، وقد باتت هذه الجماعات تشكّل ما يُعرف بـ «اللّوبي»، وهي تعمل عبر شتّى الوسائل الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي، ليس على اجتذاب الأشخاص ذوي الميول الشّاذة وتشجيعهم على الإعلان عن أنفسهم وميولهم الشّاذة فحسب، بل وتسعى للضغط على بعض الأحزاب السياسية ومراكز القرار والتشريع في العديد من الدول، - لا سيّما الغربية منها- للاعتراف بحقّهم في الزّواج الرسمي كغيرهم من الناس!؟

وهكذا تدفع هذه الجماعات - مُستعينة بكافة وسائل الإعلام والدّعاية - باتّجاه الإقرار بواقع

قانوني جديد، تُلغي فيه تلك الدول المادّة القانونية المعروفة في كافّة الشرائع السماوية والوضعية، والتي تنصّ على أنّ الزواج الشرعي هو الزواج القائم بين الجنسين (الرّجل بالمرأة) فقط[1].

لذلك، فانّ الشُّذوذ الجنسي من لواط وسحاق، ليس حالة فردية خاصة، لكي يُقال ما شأن المجتمع بها، فالشاذُّ لا يُؤذي أحدًا حسب قولهم، بل على العكس تمامًا، هي حالة انحراف وفساد تؤدي إلى كثير من المفاسد الاجتماعية والفردية والإفساد في الأرض، كما تُؤدِّي إلى الابتعاد عن الأهداف الإلهية التي من أجلها خُلق الله الإنسان.

سَنْسعى في هذه المقالة، إلى بيان أهم مواصفات الشاذين جنسيًّا عبر استعراض الآيات المرتبطة بقوم لوط عليه السلام، وما هي الأفعال والتصرفات والمواصفات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لهؤلاء القوم، كما سنقوم ببيان مفهوم الفساد في القرآن الكريم وأهم مظاهره ومَصادِيقه، والرّبط بين هذا المفهوم وبين اللواط كمصداق للفساد والإفساد في الأرض، وما هي أهم آثاره على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

■ الفساد والإفساد: لُغةً وفي القرآن الكريم

الفساد في اللّغة، يأتي بمعانٍ شتّى يجمعها نقيض الصّلاح[2]، ومن هذه المعاني: أساء إليه، خلاف المصلحة، الجَدب والقحط، وقلّة الرّيع ومَحْق البركات، الذي لا نفع فيه، ونُقِل عن سيبويه تفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام، والفساد: أخذُ المال ظُلمًا بغير حقّ[3].

والفساد أعمُّ منَ الظُّلم، لأنَّ الظُّلم نقص، أما الفساد فيقع عليه وعلى الابتداع واللهو واللعب.

وأمَّا الإفساد، فهو جعل الشيء فاسدًا خارجًا عمَّا ينبغي أن يكون عليه، وعن كونه مُنتفعًا به، والإفساد في الحقيقة: إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح[4].

أمّا في الاصطلاح القرآني:

الفساد: «كلّ ما يُغيّر عن استقامة الحال. والإفساد في الأرض: العمل فيها بما نهى الله عنه، وتضييع ما أَمَر الله بحفظه، كما قال تعالى حاكيًا عن الملائكة ﴿**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا**

1 - الجندر المُخادع، ص 26 .
2 - ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 180.
3 - الزبيدي، تاج العروس، ج ٥، ص ١٦٥.
4 - الكفوي، الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 294.

﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ..﴾[البقرة:30]، يعنون من يُعْصيك ويُخالف أمْرك»[1].

قال الراغب الأصفهاني: «فَسد: الفسادُ خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيرًا، ويُضادُّه الصلاح، ويُستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يُقال فسد فسادًا وفُسودًا، وأفسده غيره»[2].

وقال ابن الجوزي: « الفساد: تغيرٌّ عمَّا كان عليه من الصَّلاح، وقد يُقال في الشّيء مع قيام ذاته، ويُقال فيه مع انتقاضها، ويُقال فيه إذا بَطُل وزَال، ويُذكر الفساد في الدِّين كما يذكر في الذَّات، فتارةً يكون بالعِصيان، وتارة بالكفر، ويُقال في الأقوال إذا كانت غير منتظمة، وفي الأفعال إذا لم يعتدَّ بها»[3].

إذاً، الفَساد هو الشرّ والسّوء وارتكاب ما يُخالف الفطرة، والفاسد هو الإنسان الذي يقوم بالأفعال القبيحة والمنكرة والباطلة، التي تُخالف فطرة الله التي فطر عليها النّاس جميعًا. ونقولُ في الفعل الرّباعي: أفسد يُفسد إفسادًا، فهو مُفسد، وهم مُفسدون. والإفساد هو التّخريب ونشر الرّذائل ومحاربة الإصلاح، والمُفسد هو الذي يخرّب وينشر الرّذائل. فهو كلّ من يُحارب الإصلاح، والمُفسدون هم الذين يقومون بهذه الأفعال التّخريبيّة المدمّرة لصلاح الأرض ومَنْ فيها[4].

■ الفساد والإفساد في القرآن الكريم

وَردت مادّة «فَسد» في السّياق القرآني في خمسين موضعًا (في سبعٍ وأربعين آية)، تارة بهيئات الفعل وتصريفاته (الحاضر والمضارع)، وطورًا بهيئة المصدر أو اسم الفاعل. والمتتبّع لألفاظ الكتاب الكريم يجد أنّ لفظي الفساد والإفساد قد اسْتُعمِلا للدّلالة على المعنى اللغوي العام لهما، كما استُعملا للدلالة على المعاني الجزئية والمصاديق..

ولم يستعمل النصّ القرآني مطلقًا اسم الفاعل من فسد بصيغة «فاسد»، وإنّما بصيغة «مُفسد»، فحضرت كلمة «مُفسدين» وغابت كلمة «الفاسدين»، إشارة إلى أنّ عمليّة الإفساد التي يقوم بها

1 - الطبرسي، مجمع البيان، ج3 ص 121.
2 - الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 380.
3 - نزهة الأعين النواظر، ص 469.
4 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1 ص284.

المفسدون إنّما هي بوعي وبقصد وهي الخطر كلّه، كما أنّ الفاسد لا يتوقّف الفساد عنده، بل يسعى عادة لنشره في المجتمع، لذلك أولى القرآن الكريم اهتمامه بالفساد الذي تُمارسه الجماعة أكثر من الفساد الصادر عن الفرد، في إشارة إلى خطورة الفساد الجماعي وتأثيره على الأرض بمختلف أرجائها، كما يُؤيد ذلك استعمال اسم الفاعل من فعل «فَسد» في صيغة الجمع في أغلب الأحيان، أكثر من صيغة الفرد، وقد أخبر الله تعالى عن عدم محبّته للفساد والفاسدين، وعدم رضاه عنهم في مواضع من كتابه فقال عزّ من قائل:﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[البقرة:٢٠٥]، وقال تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[القصص:٧٧].

لذلك، نهى الله تعالى عن عموم الفساد في الأرض فقال: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف:٥٦]، ففي الآية نهي عن إيقاع الفساد في الأرض، وهو يتعلّق بجميع أنواعه: من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان، ومعنى ﴿**بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ أي: بعد أنْ أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المُكلَّفين. وهناك كثير من الآيات ذمَّت الفساد والمفسدين، ويُمكننا أن نُوجز المعاني التي جاء بها الفساد والافساد في القرآن الكريم فيما يلي:

أ- الكفر بالله سبحانه تعالى:

جاء الفساد بمعنى الكفر في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[البقرة:٢٧]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ**﴾[يونس:٤٠]، وإفسادُهم في الأرض كان باستدعائهم إلى الكفر والإصرار عليه، والترغيب فيه، وحَمْل الناس عليه، وتعويقهم وصدّهم للنَّاس عن الإيمان، والاستهزاء بالحقِّ، وقطع كل ما يُمكن أن يُساهم في تعزيز نظام العالم وصلاحه.

ب- النِّفَاق:

كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[البقرة:١١ - ١٢]، فالآيتان وردَتا في سياق ذكر المنافقين، وأنَّ من صفاتهم

وأخلاقهم إغراء أهل الكفر والطغيان على أهل الإسلام والإيمان، وتهييج الحروب والفتن، وإظهار الهرج والمَرج والمِحن، وإفشاء أسرار المسلمين إلى أعدائهم الكافرين، والاستهزاء من المؤمنين والتكبر عليهم.

ج- المعاصي والمُنكرات:

كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف: ٥٦] أيْ: لا تُفسدوا في الأرض بالمعاصي المُوجبة لفساد العالم بالقَحط والفتن، بعد إصلاحها بالخِصب والأمان، بما يُحقِّق منافع الخلق ومصالح المكلَّفين، فالنّهي هنا عامّ يشمل كلَّ فساد قلَّ أو كَثُرَ، ومن أنواعه: إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان[1].

د- خرابُ العالم وفساد نظامه:

كقوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[الأنبياء:٢٢]، أي: لو تعدَّدت الآلهة لكان بينهما التّنازع والتّغالب، ممَّا يُؤدّي إلى فساد نظام العالم، وفساد السماء والأرض وخرابهما وهلاك من فيهما، وذلك بسبب وقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء، فيبغي بعضُهم على بعض، ويذهبُ كلُّ إله بما خلق، يقول تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[المؤمنون:91].

هـ- خرابُ الدّول وإفسادُ نظامها:

ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾[النمل: ٣٤]، أي: إنّ الملوك إذا دخلوا قرية عُنْوَة بالقهر، خَرَّبوها وأذلُّوا أعزتها وأهانوهم غاية الهوان، إمَّا بالقتل أو بالأسر، وغيروا النظام القائم في الدّولة أو المدينة المهزومة.

و- الحِرَابة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ**

1 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7 ص 226. .

فَسَادًا..﴾[المائدة:٣٣]، وهو بيان لجريمة الحِرابة، أي: يسعون بِحرابتهم مُفسدين، وهي على درجات، أدناها: إخافة الطريق، ثمَّ أخذ الأموال، ثمَّ قتل الأنفس[1].

ز- إثارةُ الفتن والحروب:

ومن ذلك قوله تعالى في اليهود: ﴿**..كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[المائدة: ٦٤]، أي: يسعون في الأرض مُفسدين أو للفساد، وذلك بإثارة الحروب والفتن، وهتْك المحارم واستحلالها، وسفك الدِّماء، والدّمار الذي تُحدثه الحروب على جميع المستويات.

ح- السّحر وخداع الناس:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[يونس:٨١]، فسحرهم هو من قبيل عمل المفسدين، لأنّه فعل مَنْ شأنُهم الإفساد، فيكون نسجًا على مِنْوالهم، وسيرة على مُعتادهم، والله لا يؤيِّد هذا العمل الفاسد ولا يثبته ولا يقوِّيه، لأنّ فيه تغرير للناس وخداع لهم، بالوهم والخُدع البصرية ليُضلّوهم عن سبيل الله.

ط- أكلُ أموال اليتامى ظُلمًا:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾[البقرة:٢٢٠].

ي- مُمارسة «الفاحشة» من طرف قوم لوط(ع):

ومن ذلك قوله تعالى مُخبرًا عن نبيِّه لوط عليه السلام ودعائه على قومه بعدما وصفهم بالمفسدين: ﴿**قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**﴾[العنكبوت:٣٠]، وذلك لـمَّا يَئِس من استجابتهم، بعد أن أنكر عليهم سُوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم الذُّكران من العَالـَمين(الفاحشة)، والشُّذوذ الجنسي الذي لم يسبقهم إلى فِعْله أحدٌ من بني آدم

1 - ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2، ص 215.

قبلهم، مع كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لرسوله، وقَطعهم السّبيل وعملهم المُنكَر.

ك- الظُّلم والجَور والتَّفريط بالحقوق:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ**﴾[الفجر: ١١ - ١٢]، و﴿**طَغَوْا**﴾ أي: تمرَّدُوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظُّلم والعُدوان، ﴿**فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ**﴾ أي: الجَور والأذى وإضاعة حقوق النَّاس، لأنَّ الطغيان يُجرِّىء صاحبه على انتهاك حقوق النَّاس، فهو من جهة يكون قُدوة سيّئة لأمثاله ومَلئه، فكلُّ واحد منهم يطغى على من هو دونه، وذلك فساد عظيم، وبسببه يقع اختلال الشرائع الإلهيّة والقوانين الوضعية الصالحة، وهو من جهة أخرى: يُثير الحفائظ والضغائن في المُعتدى عليهم من الرعيَّة، فيُضْمرون السُّوء للطَّاغين والظالمين لهم، وتنطوي أنفسهم على كراهيتهم والتفكير في الانتقام منهم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[محمد: ٢٢]، أي: فهل يتوقع منكم إنْ تولَّيتم أُمورَ النَّاس وتأمَّرتم عليهم، أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام، إلَّا الفساد في الأرض، وتقطيع الأرحام، تناحرًا على الولاية وتجاذبًا لها، أو رجوعًا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، من التّغالُب ومُقاتلة الأقارب، حيث يُؤدّي الفساد إلى تغيير النظام الاجتماعي، وتغيير العادات والتقاليد، ومنها قَطْع الأرحام، وسيطرة الفردانية على حياة الانسان، بدلاً من صِلة الرّحم، وروح الجماعة ومساعدة الآخرين.

ل- تَسَلُّط الكفار على المؤمنين واستحلالهم للحُرُمَات:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾[الأنفال: ٧٣]، أي: إلَّا تفعلوا ما أُمرتم به من مُوالاة المؤمنين ونصرتهم، أو نصرة من استنصر بكم ممَّن لم يُهاجر، ﴿**تكن فتنةٌ في الأرضِ**﴾، وذلك بسيطرة المشركين على المؤمنين، ﴿**وفسادٌ كبير**﴾، وذلك باستحلال المشركين أموالَ المؤمنين وفُروجهم.

م- السَّرقة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا**

﴿سَارِقِينَ﴾[يوسف:٧٣]، فقد أكّد إخوة يوسف عليه السلام براءتهم من السرقة بالقَسَم، مُعتبرين السرقة من الإفساد في الأرض، لأنّها من الظلم والاستيلاء على أموال الغَير بغير حقّ. وقد نَفَوا عن أنفسهم الاتّصاف بالسّرقة بأبلغ ممَّا نَفَوا به الإفساد عنهم، وذلك بنفي الكون سارقين دون أن يقُولوا: وما جِئْنا لنَسْرِق[1].

ن- إفساد البيئة والطبيعة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم:٤١]، وفساد البرّ: خرابه، وغور مياهه، وقلّة نباته، وقلّة أمطاره، وكثرة السّباع العادية والحشرات المؤذية فيه، وكثرة الحرق والغرق، ومَحْق البركات، وكثرة المضار، أمَّا فساد البحر: فبكثرة الرياح القاصفة، وكثرة الغرق، وقلّة السّلامة، وانقطاع الصيد، وكلا الفَسادَيْن بسبب ما كسبت أيدي الناس، من المعاصي والذّنوب والبُعد عن شريعة الله.

وعليه، يمُكن اسْتنتاج أنّ كل ما هو مخالف للعقيدة الصحيحة وللتعاليم الإلهية والشريعة من مظاهر الفساد، سواء أكانَ ذلك فرديًّا أم اجتماعيًّا. ومن خلال ما ذُكر من مصاديق ومعاني للفساد، فكيف تنطبق على ما تلّبس به قوم لوط عليه السلام من معاصي وذنوب وعلى رأسها ممارستهم للشذوذ الجنسي(الفاحشة).

أوّلا: قصّة نبي الله لوط(ع) مع قومه في القرآن الكريم

ذُكر النّبي لوط عليه السلام وقومه في عدة سور من القرآن الكريم، وقد وصفت هذه الآيات الشريفة قصة لوط(ع) مع قومه بشكل عام، من ناحية إرساله إليهم وتكذيبهم له، وعدم إيمانهم به، كما ذكرت تفاصيل الفواحش والمُنكرات التي كانوا يقترفونها، ومن ثمَّ بيّنت كيفية نزول العذاب عليهم، بعد محاولة التعرُّض للملائكة المُرسلين إلى قوم لوط عليه السلام لأنزال العقاب والعذاب بهم.

ومن خلال هذه الآيات، يمُكن استخلاص الجرائم والمعاصي التي ارتكبوها والصّفات التي اتّصفوا بها، ومن خلالها يتبيّن لنا علاقة هذه الجرائم والصّفات بالإفساد في الأرض. فمن صفاتهم أنهم:

1 - مُسرفُون نجسون يرتكبون الفاحشة(الشذوذ الجنسي): ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ* إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ

1 - الطبرسي، مجمع البيان، ج 2، ص165.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ* وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[الأعراف:80-82].

وقد تكرر هذا الوصف أيضاً في سورة النمل، كما بيّنت الآيات أنّ قوم النبي لوط عليه السلام هم أول من فعل هذه الفاحشة – أي اللواط- :﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:80]، لتعديهم سبيل الفطرة وُصفوا بأنّهم مسرفون متجاوزون لحدُود الخِلقة والطبيعة. وتُفيد الروايات أنّ إبليس هو من كان سبب هذا الفعل الشنيع، وتعليمهم الشذوذ من لواط وسحاق[1].

2 - قوم سوءٍ فاسقين، يعملون الخبائث: يقول تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾[الأنبياء:74].

3 - يعملُون السّيئات: ﴿وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: 78].

4 - يقطعُون السّبيل لاغْتصاب المارّة والمُسافرين والاعتداء عليهم وإتْيان المُنكر في نواديهم: يقول تعالى:﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[العنكبوت:29].

5 - مُجرمون: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[الأعراف:84].

6 - مُتجاوزُون لحُدود الله: يقول عز وجل:﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: 166]. أي مُتجاوِزُون لما أباح الله لكم من فروج النساء، إلى أدْبار الذكور، وفي ذلك اعتداء وتجاوز لحدود الله تعالى.

7– الجهل:﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[النمل:55]. أيْ إنّ إتيانهم الرجال بدل النساء، دليل على سفاهتهم وفساد عقولهم، وعدم إدراكهم مخاطر ما يفعلون وما سيترتّب على هذا الفعل من فساد وعقاب في الدنيا والآخرة.

8 - عدم الرُّشد والتعقُّل: إنّ تعبير نبي الله لوط عليه السلام بقوله:﴿أَلَيسَ مِنكُمْ رَجُل رَّشِيد﴾[هود: 78]، في آخر كلامه مع قومه المنحرفين، يكشف عن هذه الحقيقة، وهي أنّ وُجود رجلٍ واحد رشيد، بينهم كان كفيلا بردعهم عن أعمالهم القبيحة والمُخزية، أي لو كان فيهم رجل عاقل ذو لبّ ورُشدٍ، لمّا قصدُوا بيت نبيهم، ابتغاء الاعتداء على ضيوفه.

1 - المجلسي، بحار الأنوار، ج 60، ص 278.

9 - رؤية فعل الشُّذوذ الجنسي حقًّا لهم: فقد انْقلبَت لديهم المفاهيم بسبب الاعتياد والانهماك في فِعل الفاحشة، حيث أصبح الشُّذوذ الجنسي والانحراف عن الفطرة أمرًا طبيعيًّا لديهم، ولذلك قالوا لنبيِّهم لوط عليه السلام عندما عرض عليهم الزواج من بناته، أن ليس لهم من حقٍّ في بناته: ﴿**وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ * قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ**﴾[هود: 78-79]. وهذا التعبير كاشف عن غاية الانحراف الذي وصلته هذه الجماعة، بحيث بلغ انحرافُها عن الفطرة والحق حدًّا أصبحت معه ترى الباطل حقًّا والحقَّ باطلا ؟!

فالزّواج من النّساء الطاهرات لا يعدُّ حقًّا عندهم، بخلاف الشُّذوذ الجنسي الذي يسعون إليه ويعتبرونه حقًّا. إنّ الاعتياد والتطبُّع على فعل المعاصي والذنوب، يُصبح في مراحله النهائية والخطرة، عندما يُتصور أنّ أسوأ الأعمال وأخزاها هي «حقٌّ عند صاحبها»، فيما يُنظر إلى الاستمتاع الجنسي المُنسجم مع الفطرة والطهارة أمرًا غير مشروع.

إذن، بحسب ما وصف الله قوم لوط عليه السلام، فهم مُجرمون ومُسرفون وفاسقون وعادون وقاطِعُو سبيل، يعملون السّيئات، أي يُمارسون الشُّذوذ الجنسي، وبمتابعة الروايات التي تحدثت عن قصّة قوم لوط عليه السلام وكيف أغراهم الشيطان لفعل الفاحشة، وأنها ابتدأت باللواط ثم السّحاق كنتيجة طبيعية لترك النساء، ومن ثم لم يكتفوا ببعضهم البعض، فبدأوا بقطع الطريق والسرقة واغتصاب المارة وسرقتهم، وقد يصل الأمر إلى حدّ القتل، وهذا ما أدّى إلى كثير من المفاسد الأخلاقية والاجتماعية، وعلى رأسها هلاك النّسل، لتراجع التزاوج الطبيعي بين الذكور والإناث، وهذا مؤذن بخراب العُمران، وصولا إلى الجَحد بآيات الله تعالى والكفر به وتكذيب نبيهم عليه السلام وانقلاب المفاهيم لديهم. وعليه، فقد كان الشُّذوذ الجنسي مفتاحًا لكلِّ أنواع الفساد في مجتمع قوم لوط عليه السلام، ما أدّى - في نهاية الأمر- إلى نزول العذاب الشّديد بهم.

لقد نُقل في بعض الروايات أنّ سبب انحراف قوم لوط عليه السلام وتلوّثهم بهذا السلوك القذر، أنّهم كانوا قومًا بُخلاء، ولمّا كانت قُراهم على قارعة الطريق التي تمرّ بها قوافل الشام ولم يكونوا ليرغبوا في استضافة العابرين من المسافرين، فكانوا يُوحون إليهم بداية الأمر، أنّهم يريدون أن يعتدوا عليهم جنسيًّا ليفرّوا منهم، ولكنّ هذا العمل أصبح بالتّدريج مألوفًا عندهم، فنما عندهم الانحراف

الجنسي، وبلغ عملهم حدًّا أنّهم تلوّثوا بالآثام من قَرنهم إلى قدمهم[1].

وهذا ما يُؤكّد أنّ المفاسد الأخلاقية والاجتماعية مرتبطة ببعضها البعض، وأنّ الانحراف التّدريجي يمُكن أن يصل في نهاية المطاف إلى انحراف كبير، تترتّب عليه مفاسد عظيمة ومُدمرة للفرد وللمجتمع وللعمران البشري ككل.

وبما أنّ العقاب ينبغي أن يتناسب مع الإثم والمعصية، وحيث أنّ هؤلاء القوم قلبوا كل شيء عن طريق الشُّذوذ والانحراف الجنسي، فإنّ الله قد جعل مُدنهم عاليها سَافلها أيضًا، كما أمطرهم بحجارة من سجيل تهاوت على رؤوسهم.

■ تحريم الشُّذوذ الجنسي في الإسلام

يُعدّ الميَل الجنسي إلى المُماثل « سواء وقع ذلك بين الرجال أو بين النساء»، من الذنوب الكبيرة في الإسلام، وقد جعل الإسلام لكلّ من الحالتين حدًّا شرعيًّا. فالحدّ الشّرعي في «اللواط» أو العقوبة، هو القتل فاعلا كان الرجل أم مفعولا به. وهناك طرق مبيّنة لهذا القتل في الفقه الإسلامي[2].

وأمّا الحدّ على المرأة في عملية المُساحقة، فيكون بعد الإقرار بالذنب على نفسها أربع مرات، أو شهادة أربعة شهود « وبالشّرائط المذكورة في الفقه» مئة جلدة، وقال بعض الفقهاء، إذا كانت المرأة التي تقوم بهذا العمل الشنيع ذات بعل فحدّها القتل. وإقامة هذه الحدود لها شرائط دقيقة ذُكرت في كتب الفقه الإسلامي.[3]

والرّوايات التي تذمّ الميَل الجنسي إلى المماثل والشذوذ كثيرة فعن الرّسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: « لمّا عَمِل قوم لوط ما عملوا بكت الأرض إلى ربّها حتى بلغت دموعها السّماء، وبكت السّماء حتى بلغت دُموعها العرش، فأوحى الله إلى السّماء أنْ أحْصبيهم وأوحى إلى الأرض أن اخْسفي بهم»[4].

وفي حديث للإمام الصادق أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال: «من جامع غلامًا جاء يوم القيامة جُنبًا لا ينقّيه

1 - المجلسي، بحار الأنوار، ج12، ص 147.
2 - العاملي، اللمعة الدمشقية في فقه الامامية، ص256 .
3 - الشيرازي، ناصر مكارم، التفسير الأمثل ، ج 7 ص 27.
4 - البحراني، تفسير البرهان، ج 2، ص 231.

ماء الدُّنيا، وغضب الله عليه ولعنه، وأعدّ له جهنم وساءت مصيراً. ثمّ قال: إنّ الذَّكر يَركبُ الذَّكر فيهتزُّ العرش لذلك..»[1].

وفي رواية أُخرى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: لعنَ الله المُتشبّهين من الرّجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرّجال»[2]، ولشدّة شناعة هذه الفاحشة، وَرد في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو كان ينبغي لأحد أن يُرجم مرّتين، لَرُجم اللُّوطي مرّتين»[3].

إنّ الإنسان الطبيعي والسليم، يميل إلى المُخالف من جنسه، أي إنّ الرّجل يَميلُ إلى المرأة، كما تَميلُ المرأة إلى الرجل، وهذا الميل من أشدّ الغرائز المُتجذّرة فيه، والضامن لبقاء نسله، فأيّ عمل يُؤدّي إلى تغيير وتحريف هذا المَيل الفطري عن مساره الطبيعي، فسيُوجِد – حتما - نوعًا من المرض والانحراف السلوكي والنفسي في الإنسان.

فالرّجل الذي يميلُ جنسيًّا لنظيره من جنسه، لا يُمكن أن يُعتبر رجلا كاملا، والاستمرار في هذا العمل والسّلوك المُنحرف وإدمانه، قد يُميت في الفرد المَيل الجنسي الفطري إلى المُخالف من بَني جنسه أي المرأة. والشّخص الذي يُسلّم نفسه لمُمارسة هذا العمل معه(أي يُفعلُ فيه)، سيشعُر شيئًا فشيئًا «بإحساسات المرأة والأنوثة».

وهذا العمل يُورث لدى الطرفين «الفاعِل والمَفعُول به»، ضُعفًا مفرطًا في الجنس، حتى إنّه لا يستطيع بعد مدّة، المُعاشرة الطبيعية مع جنسه المُخالف[4].

ومع مُلاحظة أنّ الإحساسات الجنسية - بالنسبة للرجل والمرأة معًا - لها تأثيرها في أعضاء بدن كل منهما، كما أنّ لها تأثيرها على روحية كلٍّ منهما وأخلاقه. تتّضح أنّ فُقدان الإحساسات الفطرية والطبيعية، إلى أيِّ درجة سيُؤثّر على روح الإنسان وجسمه، بَل مِن المُمكن أنْ يُبْتلى الأفراد هؤلاء بالضّعف الجنسي، الذي قد يُؤدّي إلى عدم القدرة على الإنجاب والعقم الدائم.

كما أنّ حالة الحَيْرة والاضطراب النفسي عند كثير من المنحرفين والشّاذين جنسيًّا، سيرُافقها

1 - الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 14، ص 249.
2 - الحر العاملي، ج14، ص 250.
3 - البروجردي حسين، جامع أحاديث الشيعة، ج 20، ص 365.
4 - الشيرازي، التفسير الأمثل، ج 7، ص 54.

التورُّط في ارْتكاب كثير من المُحرّمات والأفعال المُنكرة، والسلوكيات المُنحرفة، كاسْتعمال المواد المُخدّرة والمشروبات الكُحوليّة، كما يجرّهم إلى انحرافات أخلاقية أُخرى، كالسّرقة والاعتداء على الآخرين، والتورّط في ارتكاب الجرائم المتعددة، كما هو مُشاهد في المجتمعات، حيثُ ينتشر الشُّذوذ الجنسي. وفي ذلك – بالتأكيد – فساد الحياة الاجتماعية وخراب العمران.

وهذا ما أكّدته بعض الأحاديث والرّوايات التي تحدّثت عن علّة تحريم الشُّذوذ الجنسي، فعن محمد بن سنان أنّ علي بن موسى الرِّضا(عليهما السلام) كتب إليه في جواب مسائله (إلى أن قال): .. وعلّة تحريم الذُّكران للذُّكران، والإناث بالإناث، لما رُكِّب في الإناث وما طُبع عليه الذّكران، ولما في إتْيان الذُّكران الذُّكران، والإناث الإناث، من انْقطاع النّسل، وفساد التّدبير، وخراب الدنيا..[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رجلا سأله: لم حرّم الله اللواط؟ فقال سلام الله عليه: «مِنْ أجل أنّه لو كان إتيان الغُلام حلالاً، لاسْتغنى الرّجال عن النساء، وكان فيه قطْع النّسل، وتعطيل الفُروج، وكان في إجازة ذلك فَساد كبير..»[2]. والفساد لا ينحصر في كونه فرديًّا شخصيًّا، بل يتعدّى ذلك إلى المفاسد الأخلاقية، وتدمير المجتمعات وانحرافها، وأخطره قطع النّسل، وما يترتّب عليه من هلاك المجتمعات البشرية وشيخوختها، وتناقُص الولادات فيها، كما هو ملاحظ في عدد من الدول الغربية، التي تُبيح الشذوذ الجنسي، ما جعل كِبار المُفكرين فيها، يُحذّرون من موتها وانقراضها في المستقبل.

إنَّ شيوع الشُّذوذ الجنسي في بعض المجتمعات الفاسدة، لا يُخفّف من قُبحها ومن مفاسدها الأخلاقية والاجتماعية والنفسية، رغم محاولة جعل هذا الشُّذوذ والانحرافات السلوكية أمرًا طبيعيًّا في المجتمع، ومنع الاستنكار والرّفض لهذه الممارسات الجنسية الشّاذة، بل هناك محاولات حثيثة لإظهارها باعتبارها سلوكًا بيولوجيًّا طبيعيًّا، وأنّ للشُّذوذ الجنسي جين مسؤول عن ذلك، مع أنه لا يوجد دليل علمي على ذلك.[3]

أما المتأمِّل في كتاب الله، فيجِدُ أنّه يدعو الناس إلى الإصلاح في الأرض التي اسْتخْلَفهُم فيها،

1 - الصدوق، علل الشرائع، ج1 ص 547.
2 - الصدوق، ثواب الأعمال، ج 3 ص 316.
3 - عتريسي، الجندر المخادع، ص 76.

ويُحذِّر من جميع مظاهر الفساد، المادية، وأبرزها إهلاك الحرث والنّسل، والمعنوية، المتمثلة في الفساد الأخلاقي والسلوكي، النابع من الفساد الفكري والعَقدي، وكل هذه المظاهر مرتبطة ببعضها، وقد استعرض القرآن الكريم مجموعة من مظاهر فساد الأمم السابقة، وما وقعوا فيه من مفاسد أدّت إلى هلاكهم، وإنزال العقاب الشديد بالمفسدين فيها.

ولخطر المُفسدين في الأرض، وأعمالهم المناقضة لمشروع إعمار الأرض، وأهداف استخلاف الله لبني آدم فيها، فقد جاءت عقوبتهم الدنيوية في القرآن الكريم شديدة وقاسية يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[المائدة:33].

خاتمة

استخدم القرآن الكريم مصطلح الفساد في مُقابل الإصلاح ﴿**الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾[الشعراء: 152]، وقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾[البقرة: 220]. كما ذكر الإيمان والعمل الصالح في مقابل الفساد أيضًا، يقول جلّ وعلا ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ**﴾[سورة ص: 28]. والفساد في القرآن له معاني متعددة جدًّا، بحيث يشمل الفساد أكبر الجرائم مثل جرائم فرعون وسائر الطواغيت، كما يشمل الأعمال الأقل إجرامًا منها، مثل بخس الناس أشياءهم في البيع والشراء، كما يشمل الفساد كذلك كل خُروج عن حالة الاعتدال والفطرة، كانحراف قوم لوط عليه السلام.

وبما أنّ فسادهم كان فسادًا اجتماعيًّا وأخلاقيًّا، فلم يكن لينحصر في مكان معيّن، ولا يُمكن حصره في منطقة معيّنة، بل قد ينتشر بين أوساط المجتمع، وفي كافّة بقاع الأرض، ويسري من مجموعة إلى أُخرى، ما يُساعد على انتشار الفاحشة على نطاق واسع، بحيث يُصبح الترويج لها، لا على أساس أنّها من الشُّذوذ المُحرّم والممنوع عقْلا وشرْعًا، والمرفوض على المستوى الاجتماعي، بل رغبة مشروعة، وحقًّا من حقوق الإنسان الطبيعية، كما نسمع ونشاهد اليوم في المُجتمعات الغربية ومؤسساتها الإعلامية والصّحية والحقوقية ؟!.

ولمواجهة هذا الفساد بأشكاله ومظاهرة المتعددة والمتنوعة، فقد كان من أهم أهداف بعثة الرُّسل

والأنبياء التصدِّي لجميع حالات الفساد في الأرض، والتحذير من عواقبها الوخيمة على الأفراد والمجتمعات، والدعوة إلى الإصلاح في الأرض، وتعميم مظاهر الصلاح والخير والنفع، لذلك يقول نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾[هود: 88].

وممّا لا شكّ فيه أنّ الشذوذ الجنسي(اللواط والسّحاق) من مظاهر الفساد الشنيعة التي تُشكِّل انْحرافًا خطيراً في المجتمع يصعُب إصلاحه، فالشُّذوذ الجنسي هو مفتاح وطريق لكثير من الآفات الأخلاقية والمعاصي والآثام والذنوب، كما رأينا في قصة قوم لوط عليه السلام، والجرائم التي تلبسوا بها، لذلك كانت عقوبتها شديدة في الإسلام، لشدة فسادها وتأثيرها على المكلفين، وتعطيل دورهم في المجتمع.

لذلك، يجب الحذر الشّديد من كل الدعوات المرُيبة، الدّاعية لتقبل حالة الشُّذوذ في المجتمع، باعتبارها حالة طبيعية، وأنها تُؤثر سلبًا على السلوك الاجتماعي، أو أنها حالة خاصة وشخصية لا تُؤذي الآخرين، فهذه كانت بداية خطوات الشيطان في تقبُّل المجتمع لحالة الشُّذوذ الجنسي، ومن بعدها تأتي باقي الخطوات لتشيع الفاحشة بين الناس، وهذا ما حصل مع قوم لوط عليه السلام، فقد تدرَّجوا في التورط في حالة الشُّذوذ ومظاهر الفساد، حتى وصلوا حالة الإدمان والوَلع الشّديد بهذا الانحراف، الذي اسْتدعى العقاب الأليم الذي حلّ بهم.

لذلك، يجب أن يُعمل على حماية المجتمع المُسلم وأفراده من مخاطر هذا السلوك المُنحرف وهذه المفسدة الكبرى، والحيلولة - بشتّى الطُّرق والوسائل - لمنع انتشارها أو الترويج لها تحت عناوين ومُسميات مختلفة ومتنوعة، لما لها من آثار في تدمير المجتمع وإهلاك الحرث والنسل فيه.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ابن الجوزي، جمال الدين، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1984-م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، 1984، تونس: الدار التونسية للنشر، ط- 1984م.
- ابن عطية، عبد الحق، المُحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية، ط- 2002م.
- ابن منظور، محمد، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط- 1991م.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب، المُفردات في غريب القرآن، دمشق: الدار الشامية، ط- 1993م.
- البحراني، هاشم، تفسير البُرهان، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط- 1999.
- الزبيدي، محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط2001-م.
- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، النجف الأشرف: المكتبة النجفية، ط- 2023م.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط- 1995.
- العاملي، محمد بن مكي الجزيني، اللمعة الدمشقية في فقه الإمامية، بيروت: الدار الإسلامية، ط1-1990م.
- عتريسي، طلال، الجندر المُخادع، بيروت: إصدارات جامعة المعارف، ط- 2023م.
- فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، بيروت: دار الملاك، ط- 2005م.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار احياء التراث العربي ط- 1985م.

■ الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكُلِّيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط- 1992م.
■ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت: مؤسسة الوفاء، ط - 1980م.